

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

باخرة "أتوس"...شهادات تاريخية تفنّد رواية فتحي الديب حول أسباب اكتشافها

The ship "Atos"...historical testimonies belie Fathi El-Deeb's version about
the reasons for its detection

Ould Boussiafa Rachid رشيد ولد بوسيافا

جامعة يحيى فارس - المدية.

Université Yahya Fares - Médée. Collège des sciences humaines et sociales

ouldboussiafa.rachid@univ-medea.dz

تاريخ القبول : 2022-01-16

تاريخ الاستلام: 2019-09-14

الملخص:

واجهت الثورة الجزائرية معضلة كبيرة خلال الأشهر الأولى لانطلاقها تمثلت في نقص فادح في السلاح، ولم تكن كميات السلاح المخزنة منذ الحرب العالمية الثانية تكفي لمواجهة الآلة العسكرية الفرنسية، وكان على قادة جبهة التحرير الوطني أن يؤمنوا كميات من السلاح منذ الأيام الأولى لكن الشهادات التاريخية تؤكد أن الأشهر الأولى التي أعقبت تفجير الثورة لم تشهد وصول شحنات السلاح.

ولعل باخرة أتوس التي اكتشفتها السلطات الاستعمارية صيف 1956، واحتجزت طاقمها كانت نموذجا للدعم العربي بالسلاح بالنظر إلى الحملة الإعلامية التي أعقبت الحادثة، وقد اختلفت الشهادات التاريخية حول المتسبب في وقوع الباطنة في قبضة الجيش الفرنسي، إذ يتهم المصريون صراحة المناضل السوداني إبراهيم النبال بالوشاية بالباطنة إلى المخابرات الفرنسية، فيما يدافع عنه بعض أعضاء المجموعة الجزائرية التي رافقت الباطنة ووقعت بالحجز وعلى رأسهم المجاهد محمد الصباغ.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، السلاح، أتوس، فتحي الديب، أحمد بن بلة

Abstract:

The Algerian revolution faced a big obstacle during the early months of its launch, represented in severe shortage in armament. The amount of weapons stored since the Second World War was not enough to confront the French armed machine. The leaders of national liberation front had to supply a mounts of weapons during the early days but the historic testimonies assert that the early months which followed the start of revolution .did not witness the arrival of the needed weapons

The Atos Ship which was discovered by the imperial authorities and arrested its crew was a model for the Arabian support with weapons regarding the media campaign which followed that. The historical testimonies were different about who caused the Egyptian ship to be seized by the French army in which the Egyptian frankly accused the a Sudanese agonizers(militants) Ibrahim Alnyal of reporting it to the French intelligence, however some members of the Algerian group who went with the ship and watched the arrest, in front of them the revolutionist Muhammad Alsabaagh.

Keywords: The Algerian revolution, weapon, ATOS, Fathy El-Deeb, Ahmed Ben Bella

مقدمة:

ركز على نشاط بن بلة في القاهرة وتنسيقه مع كل من فتحي الديب وعزت سليمان وكذا مع المغاربة والتونسيين لتنسيق النضال، وتوقيعه اتفاق مع كل من عبد الكريم الخطابي علال الفاسي لتشكيل قوة كومندوس، واستغلاله لإعانات الحكومة المصرية لشراء أسلحة وإرسالها إلى الجزائر.² كما يفصل نذير بوزار في مذكراته في الدور الكبير الذي قام به بن بلة في شحنات الأسلحة التي وصلت إلى الجزائر خلال السنتين الأوليين من الثورة وذلك بوسائله الخاصة حين اتصل ببحار يوغسلافي يدعى "ميلان باتشيش" ليقود سفينة دينا³

وتتوافق هذه المعطيات مع ما يسرده فتحي الديب في كتابه إذ يتناول بالتفصيل وبالوثائق شحنات الأسلحة والذخيرة التي كان الجيش المصري يرسلها إلى الجزائر بالتنسيق مع أحمد بن بلة نفسه.

وحسب فتحي الديب فقد بدأ الإمداد بالأسلحة مع تفجير الثورة التحريرية، إذ يقول "التزاما بتنفيذ قرار الرئيس عبد الناصر، بدعم الثورة التحريرية، بالأسلحة والذخيرة، ولمعرفتنا بإمكانات الإخوة الجزائريين المحدودة من الأسلحة والذخيرة، وضرورة توفير احتياجات المكافحين، لمواصلة مسيرة الثورة بلا توقف، باشرنا منذ أول أكتوبر 1954 التحضير لتزويدهم وبأسرع وسيلة ممكنة باحتياجاتهم الضرورية، من الأسلحة الخفيفة والذخيرة لدعم قدرات الولايات الشرقية مع التركيز على منطقة جبال الأوراس"⁴

وبعد أن يغوص الديب في سرد كل التفاصيل المتعلقة بالحصول على السلاح وتهريبه عبر وسطاء في ليبيا، يخلص في الأخير إلى أنّ أولى دفعات إمدادنا بالسلاح وصلت إلى أيدي المناضلين الجزائريين بجبال الأوراس الأمر الذي رفع معنوياتهم وأكد لهم أنهم ليسوا وحيدون في مواجهة الاستعمار الفرنسي.⁵

غير أن فتحي الديب وهو يقدم هذه التفاصيل، يعطي تاريخاً مشكوكاً فيه للوصول أول دفعة سلاح إلى الثوار الجزائريين، فبالعودة إلى شهادة أحمد بن بلة نجد أنّ أول عملية لإمداد الثوار بالسلاح تمت في شهر فيفري 1955، أي بعد حوالي أربعة أشهر من اندلاع الثورة، إذ يقول بن بلة "في فيفري 1955، قُمنّا بأول عملية لنقل السلاح إلى الجزائر على

واجهت الثورة الجزائرية معضلة كبيرة خلال الأشهر الأولى لانطلاقها تمثلت في نقص فادح في السلاح، ولم تكن كميات السلاح المخزنة منذ الحرب العالمية الثانية تكفي لمواجهة الآلة العسكرية الفرنسية، وكان على قادة جبهة التحرير الوطني أن يؤمنوا كميات من السلاح منذ الأيام الأولى لكن الشهادات التاريخية تؤكد أن الأشهر الأولى التي أعقبت تفجير الثورة لم تشهد وصول شحنات السلاح، فما الأسباب التي أدت إلى تأخر الدعم العربي بالسلاح؟ ولماذا فشلت بعض شحنات الأسلحة في الوصول إلى الجزائر؟ وكيف تمكنت الجيش الفرنسي من السيطرة على باخرة "أتوس" التي كانت محملة بالأسلحة والذخائر؟ ومن يتحمل مسؤولية هذا الإخفاق؟

انطلاقاً من هذه التساؤلات تتحدد أهداف هذا الدراسة في استجلاء الدور العربي في تموين الثورة الجزائرية بالسلاح، وإبراز البعد العربي للثورة التحريرية حين اختار قادتها عدداً من الدول العربية خاصة في شمال إفريقيا كقاعدة خلفية، وأخيراً تهدف الدراسة إلى تحديد مواطن الخلل في سياسة التموين بالسلاح والتي أثرت بشكل كبير على إدارة المعركة في الداخل، وهو ما دفعنا لاختيار باخرة "أتوس" كنموذج لدراستنا هذه.

1 - التموين بالسلاح خلال السنتين الأوليين للثورة:

يقول أحمد بن بلة: "إنّه ولمدة سنتين ونصف لم تصل قطعة واحدة من السلاح إلى الجزائر قادمة من بلد آخر غير مصر، فهي التي زودتنا بالسلاح، منذ البداية واستمرت في دعمها بعد ذلك، لكن أهم مرحلة هي البداية..."¹ ورغم تأكيد أحمد بن بلة أنّ السلاح كان مصدره الوحيد هو مصر خلال سنتين ونصف بعد انطلاق الثورة، إلا أنّه لا ينفي تهريب بعد القطع من تونس والمغرب نحو الجزائر. وقد تناول المؤرخون الفرنسيون ومنهم جاك ديشمان "JacquesDuchemin" الذي

الإعلامي المصري، فحتى التقارير الفرنسية أقرت بأنّ السلاح القادم إلى الثّوار من الخارج كان قليلاً، ففي شهر جويلية 1955 زار وفد برلماني فرنسي الجزائر وقام بتحقيق شامل وحرر تقريراً قدمه إلى الحكومة عن الوضع في الجزائر في جميع جوانبه، وقد نشرت جريدة لوموند (Le Monde) تفاصيل هذا التقرير الذي جاء فيه أنّ "المساعدات الخارجية بالسّلاح إلى حد الآن قليلة، في حين أنّ الثّوار الذين أتقنوا التّدريب واجتازوا الحدود التّونسية حاملين معهم الأوامر من القادة الكبار اللّاجئين في مصر فعدهم كبير"⁹ ويرى دحو ولد قابلية¹⁰ أنّ "حجم التّمويل بالسّلاح لم يكن بتلك الضّخامة التي تحدث عنها فتحي الدّيب، والذي ادّعى إرسال مصر لسبع سفن¹¹ محمّلة بالسّلاح، في حين وصلت سفينتان فقط¹² إلى الجزائر"¹³.

3 - رواية فتحي الدّيب لاكتشاف باخرة أتوس

تعود قصّة باخرة "أتوس" إلى صيف 1956، إذ قام أحمد بن بلة بشراء يخت اسمه "سانت بريفلز" عن تاجر بريطاني، باسم مواطن سوداني اسمه "ابراهيم النّبال" ثم طلب من القيادة المصرية استخدام هذا اليخت بعد أن غيّر اسمه إلى "أتوس" وقال إنّّه أسرع من المراكب السّابقة، واقترح استخدامه في إيصال الشحنة العاشرة من السّلاح إلى شواطئ وهران، وقال إنّ كلّ الضّمانات متوفّرة لنجاح العملية، خصوصاً وأنّهم احتفظوا بالهوية البريطانية لليخت "أتوس"، غير أنّ فتحي الدّيب تفاجأ بهذا الطلب وهو الذي كان يخطّط لنقل الدّفعة العاشرة من السّلاح على متن مركب آخر اسمه "دفاكس"، يقول فتحي الدّيب "حدث تلاسني بيني وبين بن بلة بعد أن رفضت استخدام أتوس، وبحكم رغبتني في التّخفيف عما يعانيه الأخ أحمد نفسياً، نتيجة أحداث وادي الصومام قبلت استخدام أتوس مبدئياً لنقل الشحنة العاشرة لوهران مع تحميل بن بلة كافة المسؤولية والأخطار التي ستعرض لها هذه الشحنة"¹⁴.

مركب "فخر البحار" وهو مركب سياحة، إذ نقلنا السّلاح من مصر نحو ليبيا، وإلى بلدة الخُمس التي تقع على الشّاطئ، وكانت عملية تهريب خطيرة لأنّ سيادة ليبيا لم تكن مكتملة، إذ حصلت لتوها على الاستقلال، فالإنجليز كان لهم نفوذهم، ضُفّ إلى ذلك احتضان ليبيا لأكبر قاعدة أمريكية في العالم، وهي قاعدة "لويس" إذ قام مركب فخر البحار بعملية خاطفة لإفراغ الحمولة ثم المغادرة. وأنا شخصياً - يقول بن بلة - أشرفت على هذه العملية، إذ كنت في شاطئ الخُمس في انتظار المركب.⁶

إنّ المتأمل فيما سبق يجد أنّ ما جاء به فتحي الدّيب في قضية الدّعم العسكري بالسّلاح، في فترة مبكرة أي قبيل اندلاع الثّورة لم يؤكد واقع الثّورة نفسها، ولا حتى شهادات مسؤوليها أنفسهم، وفي مقدمتهم أحمد بن بلة المتواجد في مصر، والذي يعطي تاريخاً لأولى عمليات الإمداد بالسّلاح يخالف التاريخ الأول ومتباعد معه بأكثر من أربعة أشهر.

إنّ القضية الجزائرية بشكل عام لم تكن تأخذ نصيباً كافياً من الاهتمام من الدول العربية ويتضح ذلك من خلال مداولات جامعة الدول العربية التي اهتمت بقضايا التّحرر في كل من ليبيا وتونس والمغرب، بعكس القضية الجزائرية، وهذا المعطى يجعلنا نفهم التّأخر العربي بتمويل الثورة الجزائرية بالسّلاح، فقد تصفحنا بدقة كل تقارير الأمانة العامة في اجتماعات مجلس الجامعة العربية، قبل سنة 1954، فلم نجد ذكراً لقضية الجزائر ضمن قضايا التّحرر التي تفرد لها التقارير بنداً لكل منها، وإلى غاية اندلاع الثورة التحريرية.⁷

وكمثال دورة مجلس جامعة الدول العربية الواحدة والعشرين؛ التي عُقدت بشهر واحد قبل اندلاع الثورة، لم تأت على ذكر القضية الجزائرية، رغم أنّ التقرير ذاته أفرد بنداً خاصاً للقضية التونسية، وبندا آخر للقضية المغربية، ولهذا الأمر تفسير واحد هو أنّ الجامعة⁸ لم تكن على اطلاع بما كان يُحضّر في سرية تامة داخل القطر الجزائري.

2 - ضبح إعلامي دون عمل في الميدان

إنّ ضحالة التّموين بالسّلاح خلال الأشهر الأولى من الثّورة كان واقعاً، ولم تكن العمليات القليلة في مستوى الضّبح

وبدا عليه الانهيار الكامل، غير أن فتحي الديب انفرد به وأوضح له الدور الإنساني الذي سيقوم به، ووعده بأنه سينقل شحنة سلاح إلى شعب قبرص لدعم كفاح إخوانه القبارصة وهذا فور عودته من مهمة تهريب السلاح إلى الجزائر.

أما إبراهيم النّيال الذي كان تحت مراقبة شديدة حسب ما يؤكد فتحي الديب، "فإنّه تمكّن من مراوغة مراقبيه الذين كانوا منشغلين بعملية شحن الأسلحة، وابتعد داخل الميناء التجاري، وتمكّن من الاختفاء عن الشّخص الذي كان مكلفاً بمراقبة لمدة خمس دقائق، ولمّا عاد سُئِل عن سبب اختفائه فقال إنّني ذهبت لشراء السّجائر، وأثبتت الأيام بعدها - يقول فتحي الديب - أن الدّقائق الخمس لعبت أخطر دور في خيانة مصر والجزائر على حد سواء على يد إبراهيم النّيال الذي أوضحت الحقائق فيما بعد وخلال تلك الدقائق الخمس، تم الاتصال تلفونيا بأحد جواسيس السّفارة الفرنسية¹⁶ الذين تأمر معهم على خيانتنا وأبلغه بموعد إبحار المركب أتوس¹⁷ والموعد التقريبي لوصول مكان الإنزال والذي عرفه خلال تسليمنا وشرحنا لحظة التحرك للقبطان القبرصي¹⁸

غادر المركب أتوس السّواحل المصرية في 4 أكتوبر 1956، وانقطعت أخباره لمدة 12 يوما كاملا لتكون المفاجأة الكبرى يوم 17 أكتوبر حين تناقلت وكالات الأنباء استيلاء القوات البحرية الفرنسية على المركب "أتوس".

أمّا ما يتعلق بإبراهيم النّيال فقد أشارت المعلومات الواردة للمخابرات المصرية، أنه تمّ إلقاء القبض عليه مع طاقم المركب للتمويه وإخفاء تأمره مع الفرنسيين، ووضّح في مكان منفرد بالسّجن بعيدا عن باقي أفراد الطاقم، وأُفرج عنه سرا ومنها سافر إلى الخرطوم بعد تسلّمه مبلغ خمسين ألف جنيه ثمنا لخيانتته¹⁹.

وبالعودة إلى شهادات من كانت لهم علاقة بهذه الشحنة، حيث كانوا جزء من رجالها نورد شهادتي ين محمد الهادي حمداو ومحمد الصباغ، على النحو الآتي:

تشير الجملة الأخيرة في الفقرة أعلاه إلى إحياءات باطنية تنبئ على علم فتحي الديب بما سيتعقّب هذه الشّحنة من مصير غير محمود وهو اكتشافها من طرف المخابرات الفرنسية، وهو ما يبعث الاستغراب في عدم الإيضاح والإفصاح عن هذا المُبهم الذي جاء به فتحي الديب في نصّه بـ"الأخطار التي ستعرض لها هذه الشحنة".

وحسب فتحي الديب فإن بن بلة "كان تحت تأثير الحملة المعادية التي شتّها عبّان رمضان، فجَنَح إلى التّخلّي عن الحذر الشّديد والحرص الذي لازم أسلوب العمل منذ البداية، وقد استمر الخلاف بين بلة وفتحي الديب حول استخدام المركب أتوس ومن يقوده والدور الذي يقوم به إبراهيم النّيال، وكاد الأمر يفضي إلى تغيير أتوس بمركب آخر حسبما يؤكده فتحي الديب وذلك بسبب إصرار بن بلة على إشراك إبراهيم النّيال في عملية التخطيط والإعداد لنقل السلاح، فيما كان فتحي الديب يحاول استبعاده كلياً عن العملية، حيث يقول" فوجئت بمطالبة بن بلة بمشاركة إبراهيم النّيال لنا في وضع الخطّة وثارَت ثائرتي، وفقدت السيطرة على أعصابي، والتحمت في صدام جدلي وصل إلى حد اتخاذ لقرار إيقاف استخدام المركب أتوس، وعدم تحملي لأية مسؤولية في استخدامه"¹⁵

وبعد أن هدأت الأنفوس تم الاتفاق على خطّة التهريب، كما تم توفير قبطان قبرصي جديد اسمه "بازيل موسيس"، كما تم توفير مجموعة من الضّفادع البشرية الجزائريين بمعدّاتهم لمرافقة الشحنة، وتم تكليف إبراهيم النّيال بتسجيل اسم القبطان الجديد بالقنصلية البريطانية بالإسكندرية لتحفظ "أتوس" بالجنسية الانجليزية وعلمها البريطاني، وتم التكتّم على كل تفاصيل العملية عن إبراهيم النّيال، ويكون هذا الأخير قد تضايق كثيرا من حالة المراقبة المفروضة عليه، حيث وُضِعَ بمكتبٍ ومُنِعَ من مُغادرته، وقد طلب إجازة لمدّة ساعتين لقضاء بعض الحاجات لكن فتحي الديب رفض هذا الطلب كي لا يتم تسريب أيّة معلومة عن المركب.

وما نقتسبه من كلام فتحي الديب حول هذه القضية التي تناولها بإسهاب كبير هو أن القبطان القبرصي لم يكن على علم بأنّه سيقوم بتهريب أسلحة إلى الجزائر انتابه الدّعر

3 - 1 شهادة محمد الهادي حمداو:

إنّ القصّة المتناسقة التي يوردها فتحي الدّيب، يطعن في بعض تفاصيلها واحد من أهم المشاركين في عملية أتوس، وهو محمد الهادي حمداو²⁰ أحد الطّلبة الجزائريين الذين اختيروا لمرافقة المركب أتوس، فيقول "إنّ الاستخبارات الفرنسية كانت على علم بمهمة أتوس قبل أن ينطلق بأربعة أشهر... ومهما حاول فتحي الدّيب وهو رجل مخبرات كبير بلا شك أن ينأى بنفسه وبمصالحه التي كانت مخترقة إلى حد كبير من طرف الموساد بالخصوص، والتّنصل من تحمّل مسؤولية ما حدث من خلل كبير وخطير أدى إلى إجهاض هذه المهمة الكبيرة، فإن ذلك لا يعفيه من المسؤولية التاريخية إطلاقاً"²¹

ويستدل حمداو بما جاء في كتاب "الملف الأحمر.. الاستخبارات السّرية ضد جبهة التحرير الوطني للضابط الفرنسي أروان بيرقو حيث قال هذا الأخير" إنّ الموساد الإسرائيلي نقل منذ شهر جوان 1956 لزملائه الفرنسيين معلومات تفيد بأن بن بلة يستعد بمساعدة فتحي الدّيب لإرسال شحنة هامة من السلاح لمنطقة الغرب الجزائري"²²

ويتّضح من خلال هذه الشّهادة الهامة أن عملية أتوس كانت مكشوفة لفرنسا من الأول، وهذا لا ينفي خيانة إبراهيم النّبال ولكن المعلومات حول أتوس كانت تصل إلى الاستخبارات الفرنسية من مصادر مختلفة مما يشير إلى الاختراق الواسع الذي تكلم عنه محمد الهادي حمداو.

وفي تفصيل آخر يورده فتحي الدّيب عن المجموعة الجزائرية التي رافقت المركب أتوس فيقول "وإمعانا منا في الحرص والحذر ولتفادي أية مشاكل تترتب عن قيام إبراهيم النّبال بأي تلاعب أو عمليات خداع على سطح المركب لتغيير خطّ سيرها، قُمت ومعني بن بلة بالانفراد بالمجموعة الجزائرية وأوضحنا لهم خطورة وقوع المركب بشحناتها في أيدي الفرنسيين وأبدت لهم شكوكي من إبراهيم النّبال... وسلّمت قائدهم شنطة مزودة بقوالب "تي ان تي" ومتفجرات أخرى وأصدرنا أوامرا الصّريحة لقائد المجموعة بتفجير المركب فور شعوره بأية أخطار تهدّد وصول الشّحنة.. وفي نفس الوقت سلّمت كل واحد من المجموعة الجزائرية مسدّسا وكمية من

الطلقات لاستخدامها في مواجهة أيّ احتمال للقبض عليهم أو تجميد حركتهم بمعرفة طاقم المركب بقيادة النّبال لموالاة الطاقم له"²³

وليس فتحي الدّيب وحده من يقدم هذه المعلومات الخطيرة عن تزويد المجموعة الجزائرية بالأسلحة والمتفجرات لمنع وقوع الشحنة في أيدي القوات الفرنسية، بل إن شقيق الرئيس عبد الناصر كذلك يقول في شهادة وصفت بالنادرة نشرتها جريدة الشروق الجزائرية سنة 2008، حيث يقول عادل عبد الناصر حسين: إنّ المجموعة الجزائرية كانت مزودة بمجموعة مدافع خفيفة وصناديق ذخيرة إضافة إلى معدات وملابس ضفادع بشرية لتفجير السّفينة تحت الماء إذا تطلب الأمر ذلك"²⁴

وانطلاقا من هذه المعلومات الخطيرة التي يوردها فتحي الدّيب يخلص إلى ذلك السؤال المحير حسب وصفه إذ يقول "كيف تمّ استيلاء الطرّاد الفرنسي على "أتوس" دون قيام المجموعة الجزائرية بتفجيرها وفقا للتعليمات الصّادرة إليهم"²⁵

وكان يمكن لهذا السؤال أن يبقى محيرا بالفعل، لولا تلك الشّهادة الصادرة من أحد أعضاء المجموعة الجزائرية حيث يقول محمد الهادي حمداو "إنّ ادّعاء فتحي الدّيب بأنه قام بتسليم كل واحد من المجموعة الجزائرية مسدّسا وكمية من الطلقات، أمر لم يحصل أبدا"²⁶.

ونظرا لأهمية هذه الشّهادة الصّادرة عن واحد من أهم أفراد المجموعة الجزائرية نوردها ببعض التّفصيل إذ يشير حمداو إلى أن قصّته مع أتوس بدأت "في مساء 3 أكتوبر 1956، حين دخل علينا بمعسكر التدريب ضابط مصري، وطلب منا أن ندلّه على المدعو عبد القادر بن محمد، وكان هذا اسمي الحركي، فقادني الضّابط إلى ميناء الإسكندرية، حيث قابلي تيجاني هدام الذي كان يشغل مدير مكتب أحمد بن بلة، وأخبرني باختياري لمرافقة الرحلة، وذلك لتمكّني من التّحكم الجيّد بجهاز الاتّصال اللاسلكي... ثم عرفوني بالرفاق الخمسة وهم السادة: محمد الصباغ، أفرودة محمد واعلي، شرفي محمد الطاهر، زروق محمد الصالح، وريغي محمد.. وفي منتصف اللّيل نقلنا أنا وزملائي إلى

المركب حيث تعرفنا على إبراهيم النبال، وكان رجل متخصص في تهريب السلاح"

بعد ذلك يروي محمد الهادي حمادو ما حدث معهم بعد إقلاع المركب، وكيف أنّ طائرة كانت تحوم حوله في المياه الدولية مما جعل طاقم المركب يناور باتجاه السواحل الاسبانية، وعند عودتهم إلى الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط، قرب مدينة الناظور الساحلية، وكان ذلك ليلة 16 أكتوبر 1956، اقترب طراد حربي من المركب، وأمر الطاقم بالوقوف، فأمر إبراهيم النبال قائد المركب بالوقوف، ولما سئل قال: إن كل أوراقه سليمة، والمركب يحمل الجنسية الإنجليزية، عندها صعد عدد من الجنود على متن المركب وأخذوا معهم النبال، وسرعان ما عادوا وانتشروا في المركب وقاموا بتفتيشه، في هذه الأثناء قامت المجموعة الجزائرية بالتخلص من الوثائق وتفاهموا بينهم على كونهم طلبة مغاربة عادوا إلى بلادهم مع المركب.

ويُفصّل محمد الهادي حمادو في مراحل الاستنطاق والتعذيب، وفي المعاملة الخاصة التي حظي بها إبراهيم النبال، وبعد إصرارهم على إنكار الهوية الجزائرية أتو لهم بإبراهيم النبال عارياً²⁷ وهم كذلك كانوا عراة، وقد اعترف النبال بالحقيقة وبرر ذلك بأنه لم يحتمل التعذيب، واستمر التعذيب والاستنطاق وكان كله يرمي حسب حمادو إلى إثبات التورط المصري في تهريب السلاح إلى الثورة الجزائرية، وهو ما فعله بعد ذلك وزير الخارجية الفرنسي "كريستيان بينو" في مجلس الأمن الدولي حين اتهم الزعيم عبد الناصر بالتدخل في شؤون فرنسا الداخلية مستدلاً على ذلك ببخيرة أتوس²⁸.

وانطلاقاً من كل هذه الحقائق فإنّ خيانة إبراهيم النبال تكاد تكون مؤكدة، غير أنّ الثابت كذلك هو أنّه كان إحدى حلقات الاختراق المخبراتي للأعمال السرية للثورة وللمخابرات المصرية، وعليه فلا يمكن أن يتحمّل أحمد بن بلة وحده هذا الإخفاق، فقد سبق لإبراهيم النبال أن نال ثقة الجميع بمن فهم المخابرات المصرية وفتحي الديب نفسه، والدليل هو نجاحه في تهريب شحنة السلاح على متن يخت "دينا" كما أسلفنا ذكره، بالتالي نال ثقة الجميع، ولا معنى لكلام الديب بخصوص ارتيابه من النبال وتخصيص حراسة

لتقييد حركته، بينما لم يفعل ذلك خلال الإعداد لمركب دينا. وعليه يتضح جلياً أنّ كلّ ما كتبه فتحي الديب عن النبال وبن بلة وقصة الاختراق الشهيرة في رحلة أتوس إنما هو محاولة لتبرئة المخابرات المصرية وتبرئة نفسه من مسؤولية ما حدث ما مع مركب أتوس.

3-2 - شهادة محمد الصباغ:

هناك عنصر آخر من أفراد المجموعة الجزائرية هو في الواقع مسؤول المجموعة الجزائرية، يدافع بشدة عن إبراهيم النبال²⁹، وهو محمد الصباغ، حيث يقول في صدد سرده لتفاصيل الواقعة إنه بينما كنت أنتظر "دخول الجزائر للقيام بواجبي في صفوف المجاهدين، إذ بالدكتور تيجاني هدام يستدعيني نيابة عن بن بلة الذي كان غائباً حينذاك، ليبلغني أنني مكلف بمهمة هامة وخطيرة، وهي الإشراف على باخرة أسلحة في طريقها إلى الجزائر، بمساعدة الزملاء محمد الطاهر شرفي، محمد أقروفة، محمد زروق، بالإضافة إلى محمد الهادي حمادو الذي كلف بمهمة مراقب تقني عامل على جهاز الراديو"³⁰

وتكاد شهادة محمد الصباغ تتطابق مع شهادة محمد الهادي حمادو ولا عجب في ذلك لأنهما عاشا نفس المأساة وتقاسما معاناة السجن والتعذيب، لكن شهادتهما تتناقض مع شهادة فتحي الديب، حول الحادثة، كما رأينا سالفاً، ولعل شهادة الصباغ كانت أكثر تفصيلاً باعتباره كان مكلفاً بالإشراف على المجموعة الجزائرية المرافقة لأتوس، إذ يقول إنه لاحظ منذ البداية إشارات الغموض والضبابية في العملية خصوصاً لما زار فتحي الديب في مكتبه لغرض تلقي التعليمات والأوامر المتعلقة بالعملية، إذا طلب منه الديب مراقبة رئيس المركب السوداني إبراهيم النبال، مع محاولة كسب ثقته في نفس الوقت، وهما طلبان متناقضان إذ كيف يراقبه ويكسب ثقته في ذات الوقت؟ مع العلم أنّ النبال نفسه كلف بتسليم الأسلحة للمجموعة الجزائرية حسب محمد الصباغ.

أما ما يتعلق بالتعليمات التي يقول فتحي الديب أنها كانت واضحة بتفجير المركب في حال اقتضاح أمره، فإنّ محمد الصباغ يعطي شهادة مفصلة بالقول "أخبرني الديب

3. ذكر أنه زوّد كل فرد من مجموعتنا الخماسية بمسدس وعدة طلقات، والحقيقة أنه ترك الأمر للنيال³² بعد الإبحار.
4. اتّهام إبراهيم النيال بالخيانة غير مؤسس، وربما أراد به إثبات شكوكه وتحميل مسؤولية الفشل لمن وضعوا ثقتهم فيه.

خاتمة:

إن باخرة أتوس التي سقطت بين أيدي الجيش الفرنسي، وبالرغم من أنها واحدة من الإخفاقات القليلة³³ التي سجلت في مجال تهريب السلاح إلى الثوار داخل الجزائر، فإنها تعتبر صفحة مشرقة من التضحيات التي قدمت على مذبح الحرية والاستقلال، وشاهدا على أهمية الدور العربي في دعم الثورة الجزائرية بالسلاح، فلولا شحنات الأسلحة التي كانت تدخل عبر الحدود الشرقية والغربية وعبر البحر لما تمكن جيش التحرير من مواصلة المعركة مع الجيش الفرنسي، ومن المؤكد أن تقصير ما حدث وخيانة ما كانت وراء اكتشاف شحنات الأسلحة عبر مركب أتوس، وذلك لا يقلل من أهمية العمل الذي قام به المصريون في إمداد الثورة الجزائرية بالسلاح وقد دفعوا الثمن غاليا في العدوان الثلاثي الذي استهدف مصر بمشاركة فرنسية انتقاما من الدور الذي لعبه الزعيم عبد الناصر في نصرة القضية الجزائرية إعلاميا ودبلوماسيا وسياسيا وماليا وعسكريا.

أنني سأسلم في الدقائق الأخيرة قبل مغادرة ميناء الإسكندرية عبوة مع رسالة إلى عبد الحفيظ بوصوف، وأن العبوة موجهة لنفس المركب في حالة واحدة، وهي التأكد من خيانة النيال، بتوجيه المركب إلى أحد الموانئ الجزائرية، وظهور الشرطة الفرنسية، وهنا توجّهت بالسؤال. يضيف الصباغ. ما العمل في حال اعتراض البحرية الفرنسية سبيل المركب في عرض البحر، فرد الديب غاضبا بأن الأوامر واضحة وينبغي التقيد بها حرفيا محذرا من أيّ تمهؤ يؤدي إلى حرمان الثورة الجزائرية من شحنة الأسلحة، وأكد الديب بأن وضع الباخرة قانوني وتتوفر على جميع الوثائق المطلوبة في الملاحة البحرية، وأن جنسيتها وعلمها الإنجليزي سيجنبانها أي خطر في أعالي البحار.

إنّ الشكوك التي يذكرها فتحي الديب في كتابه حول إبراهيم النيال واعتراضه على استخدام أتوس، يؤكداه محمد الصباغ في شهادته لكنه يعبر عن استغرابه من ركون فتحي الديب إلى التنازل عن موقفه تماشيا مع اختيار بن بلة، إذ كان يفترض معارضته بشدة أو التبرؤ من العملية برمتها³¹، ويخلص محمد الصباغ إلى ملاحظات أساسية في معرض رده على فتحي الديب بالقول:

1. ذكر فتحي الديب أن مجموعتنا من نخبة الضفادع البشرية، وأنها كانت مجهزة بالأطقم المناسبة، والواقع أن لا أحد منا تلقى هذا التدريب.
2. ذكر أنّ تنبيهاته حول الخيانة المحتملة للنيال كانت بحضور بن بلة، والصحيح أنها كانت بحضور الدكتور تيجاني هدام.

المصادر والمراجع:

1. بن بلة أحمد: شاهد على العصر. الجزيرة. الحلقة الثالثة، 20 أكتوبر، (2002).
2. الديب فتحي: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي والتوزيع، القاهرة، (1984).
3. دحو ولد قابلية: تصريح في جريدة الأخبار الجزائرية، 23 جوان 2005، الجزائر، (2005).
4. حمدادو محمد الهادي: أضواء على حادثة يخت دينا ومركب أتوس، دار جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، (2014).

5. عادل عبد الناصر حسين: قصة سفينة الأسلحة التي ضبطها الجيش الفرنسي وأسر طاقمها، الشروق اليومي الجزائرية، عدد 2347، 8 جويلية 2008. الجزائر.
6. محمد الصباغ: شهادة منشورة في موقع فور آجيريا. تم الاطلاع عليه في 4 فيفري 2021.
/www.4algeria.com/vb/4algeria.73991
- 7 - ولد بوسيافة رشيد: جامعة الدول العربية وحركات التحرر في المغرب العربي - القضية الجزائرية أنموذجا. أطروحة دكتوراه غير منشورة. الجزائر 2019.

A F P. « La Ligue arabe voudrait forcer la main aux gouvernements et faire porter devant l'O.N.U. la question algérienne ». Le monde 4 novembre 1954.

Jacques C. Duchemin. Histoire du F.L.N. Edition Mimouni. 2006
Nadir Bouzar. L'Odyssée du Dina: récit du premier transport d'armes de la Révolution Maghrébine. ENAL. 1993.
Alger.

- ¹ بن بلة، أحمد: (2002). شاهد على العصر. الجزيرة. الحلقة الثالثة. 20 أكتوبر.
- ² Jacques C. Duchemin. Histoire du F.L.N. Edition Mimouni. 2006, P 245.
- ³ Nadir Bouzar. L'Odyssée du Dina: récit du premier transport d'armes de la Révolution Maghrébine. ENAL. Alger. P 41.
- ⁴ الديب، فتحي. (1984). عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1 دار المستقبل العربي والتوزيع. القاهرة. ص 58.
- ⁵ المصدر نفسه ص 60.59
- ⁶ بن بلة، أحمد. شاهد على العصر. الجزيرة. الحلقة الثالثة، 27 أكتوبر 2002.
- ⁷ ولد بوسيافة، رشيد. جامعة الدول العربية وحركات التحرر في المغرب العربي - القضية الجزائرية أنموذجا. أطروحة دكتوراه غير منشورة. الجزائر 2019.
- ⁸ نشرت صحيفة لوموند بعد ثلاثة أيام من اندلاع الثورة، تقريرا لوكالة الأنباء الفرنسية؛ يشير إلى أن مسؤولي الوفود العربية في الأمم المتحدة نفوا أن تكون بلدانهم مسؤولة عن ما حدث في الجزائر، غير أن جامعة الدول العربية تريد إجبار هذه الحكومات على عرض القضية الجزائرية في الأمم المتحدة. انظر:
- A F P. « La Ligue arabe voudrait forcer la main aux gouvernements et faire porter devant l'O.N.U. la question algérienne ». Le monde 4 novembre 1954.
- ⁹ -Le Monde, juillet 1955.
- ¹⁰ دحو ولد قابلية، وزير الداخلية الأسبق، ورئيس الجمعية الجمعوية الوطنية لمجاهدي التسليح والاتصالات العامة.
- ¹¹ شحنات السلاح التي يتكلم عنها فتحي الديب أكثر من هذا بكثير.
- ¹² يقول دحو ولد قابلية كلاما كثيرا حول هذا الموضوع، حيث يعود إلى الموضوع عقب الأزمة التي تسببت فيها كرة القدم بين البلدين، ولا يكاد ينسب حسنة واحدة لمصر، وانتقد حتى إذاعة صوت العرب التي قال إنها كانت تمنع الجزائريين من إيصال صوته إلى إخوانهم في الجزائر، كما يقول إن مصر استولت على باخرة أسلحة كانت متوجهة إلى الجزائر سنة 1965.
- ¹³ دحو ولد قابلية (2005). تصريح في جريدة الأخبار الجزائرية. 23 جوان 2005. الجزائر.
- ¹⁴ الديب، فتحي. المصدر السابق. ص 252.
- ¹⁵ المصدر نفسه. ص 253
- ¹⁶ تشير الشهادات التاريخية أن المخابرات الفرنسية كانت على علم بتفاصيل العملية من قبل، وعليه فإن الدقائق الخمس التي يتحدث عنها فتحي الديب لا أثر لها في كشف العملية

¹⁷ كتب فتحي الديب هذه الشهادة بعد عقود طويلة من الحادثة ولذلك فإن الكلام الذي يقوله عن إبراهيم النبال وكيف أنه كان يشك في أمره لدرجة كلف مساعدته بمراقبته ومنعه من التحرك بحرية، كل هذا الكلام يعطي نتيجة واحدة هي أن فتحي الديب كان متيقن بأن إبراهيم النبال مدسوس من المخابرات الفرنسية لإختراق عمليات تهريب السلاح، ومع ذلك لم يعطي الأمر بالقبض عليه واستتطاقه مما يشير إلى أن القصة منمقة بكثير من الإضافات من فتحي الديب نفسه حتى يتصل من مسؤولية الإخفاق ويرمي بها على بن بلة وحده.

¹⁸ فتحي الديب، المصدر السابق، ص 285.

¹⁹ أصبح إبراهيم النبال فيما بعد شخصية سياسية مهمة في حزب الأمة.

²⁰ انتسب محمد الهادي حمدادو إلى كلية دار العلوم المصرية وفي سنة 1956، التحق بمعسكر التدريب ليتم اختياره ضمن الفريق المرافق للباخرة أتوس، فألقي عليه القبض واقتيد إلى السجن مع رفاقه، وحكم عليه بـ 18 سنة أشغال شاقة، ولم يفرج عنه إلا بعد 19 مارس 1962.

²¹ حمدادو، محمد الهادي. (2014). أضواء على حادثة بخت دينا ومركب أتوس. دار جسر للنشر والتوزيع. الجزائر. ص 64 . 65

²² المرجع السابق، ص 65.

²³ فتحي الديب، المصدر السابق، ص 252

²⁴ عادل عبد الناصر حسين، قصة سفينة الأسلحة التي ضبطها الجيش الفرنسي وأسر طاقمها، الشروق اليومي الجزائرية، عدد 2347، 8 جويلية 2008.

²⁵ فتحي الديب المصدر السابق، ص 259.

²⁶ محمد الهادي حمدادو، المصدر الأسبق ص 60

²⁷ لا ينفي محمد الهادي حمدادو تورط النبال في الخيانة، بل يورد الكثير من التفاصيل التي تورطه، من بينها أن سلطات الاحتلال أبقوا على النبال في زنانة خاصة لوحده عكس باقي أفراد الطاقم من الأوروبيين، وكان النبال يتمتع بشروط أفضل، وبعد ذلك انقطعت أخباره، حتى سمعنا . يقول حمدادو . أنه أطلق سراحه مع الأوروبيين.

²⁸ محمد الهادي حمدادو، المصدر السابق، ص 72، 73، 74، 75، 76.

²⁹ على خلاف محمد الهادي حمدادو الذي يرجع خيانة النبال، يدافع الصباغ بشدة عليه، ويقول إن النبال عذب ودخل السجن في وهران، وبقي هناك أكثر من سنة، قبل أن يحكم عليه بثلاث سنوات سجنًا، وأنه أرسل مع المجموعة الجزائرية إلى سجن البرواقية، ومكث هناك شهرا قبل نقله إلى فرنسا، ويقول الصباغ إنه قابل النبال رفقة حمدادو في السجن، وعليه يرى محمد الصباغ البحار السوداني تماما من الخيانة ويتهم اليوناني "كوكافيس" المكلف بالراديو ورغم تكليف الهادي حمدادو بمراقبة الراديو إلا أن اليوناني أبلغهم منذ البداية أن الراديو تعطل، وعليه لم تتمكن المجموعة من الاتصال بالقاهرة.

³⁰ محمد الصباغ، شهادة منشورة في موقع فور آجيريا www.4algeria.com/vb/4algeria.73991/

³¹ انظر، محمد الصباغ، المصدر السابق.

³² معطيات فعلا تثير الاستغراب إذ كيف يعقل أن يبدي الديب كل تلك الشكوك حول إبراهيم النبال ثم يكلفه بتسليم المسدسات للمجموعة الجزائرية في

عرض البحر !!

³³ تمثلت هذه الإخفاقات إلى جانب باخرة "أتوس" التي حجزت يوم 16 أكتوبر 1956، في حجز باخرتين أخريين هما: باخرة "سلوفينيا" في 17 جانفي 1957، وباخرة "غرانيثا" التي حجزت في 26 ديسمبر 1956، انظر محمد عباس، نصر بلا ثمن (الثورة الجزائرية 1954 – 1962) دار القصة، ص 355.